

# قدرة الله في خلق الإنسان

تاريخ الإضافة: الإثنين، 12/06/2023 - 20:21

الشيخ:

إبراهيم بن عبد الله المزروعى

القسم:

العقيدة والمنهج

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد:

فنحمد الله عز وجل على نعمة الإسلام، ونسأل الله عز وجل أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ذلك في موازين أعمالنا يوم القيامة.

محاضرة اليوم بعنوان: قدرة الله في خلق الإنسان

التفكير في مخلوقات الله أمره عظيم، قد رغب الله عز وجل فيه، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [التحل: 69]، وقد عاب سبحانه وتعالى على قوم لم يعملوا فكرهم، ولم يتدبروا في آياته، ولم يعتبروا بمخلوقاته، فأخبر عنهم سبحانه وتعالى في معرض الذم فقال: ﴿وَكَايِنَ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: 105]، ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الذين يذكرون: 190] اللَّهُ قَيِّمًا وَقُعودًا وَعَلَى

**جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾**  
**[آل عمران : ١٩٠ - ١٩١].**

يتفكرون في ارتفاع السماء واتساعها، وانخفاض الأرض واتضاعها وما فيها من الآيات العظيمة، من كواكب، سيارات وثوابت وبحار، وجبال، وقفار، وأشجار ونبات وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، وغير ذلك، كل هذا يجلو النفس ويشرح الصدر ويزيل الهم، فيشعر الإنسان بأنه أصبح خفيفاً طليقاً.

يقول أبو سليمان الداراني رحمه الله: " **إِنِّي لِأَخْرَجُ مِنْ مَنْزِلِي، فَمَا يَقَعُ بَصْرِي عَلَى شَيْءٍ إِلَّا رَأَيْتُ لِلَّهِ عَلَيَّ فِيهِ نِعْمَةً** " [11] ذكره ابن القيم رحمه الله في كتاب مفتاح دار السعادة، وهكذا ذكر قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: " **الْكَلَامُ بِذِكْرِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، حَسَنٌ، وَالْفِكْرَةُ فِي نِعَمِ اللَّهِ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ** " [21]

إذاً التفكير في مخلوقات الله عز وجل يزيد المؤمن إيماناً ويردع العاصي ويذكر الغافل، ويوقظ النائم، ويحرك كوامن النفس للرجوع إلى الله، أما الملحد الكافر فالله عز وجل يقول: ﴿ **سَأُرِيهِمْ عَائِيْتَنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾ [فُصِّلَتْ : ٥٣] ، سريهم يعني المستقبل، سري كل جيلٍ ما لم يره الجيل الذي سبقه، أين؟ في الآفاق وفي أنفسهم.

انظر إلى نفسك أيها الإنسان الله عز وجل يقول: ﴿ **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ** ﴾ [الطَّارِقُ : ٥] ، إن الله عز وجل ينبهك ويذكرك بشيء هام حتى لا تظن نفسك سيدياً وقد أخذك الغرور، تملكك الكبر، بارزت الله بالمعاصي قف قليلاً انظر تأمل، فكر، لتعرف مقدار نفسك، وانظر مما خلقت هنا يأتيك الجواب من الله عز وجل، ﴿ **أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ** ﴾ [الْمُرْسَلَاتُ : ٢٠] ، نقطة ماءٍ مهينة حقيرة مستقدرة لو تركت لحظة لتنت وتعنفت، ولو سقطت على ثوبك ما هدا لك بال حتى تنظفها وتزليها.

ألا ترى أيها الإنسان أن الأرض تدور، والشمس والقمر يجريان، والليل والنهار يتعاقبان بنظامٍ بالغ الدقة لا

حيلة لك، ولا يد فيه، ألا ترى رئتيك تتنفس وقلبك ينبض، وجهازك الهضمي يعمل في يقظتك وفي منامك بأمرٍ لا حيلة ولا يد لك فيه أيضاً، الكل يسير بتسخير الله عز وجل وقدرته.

لذلك الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره ذكر بأن هناك شبيهاً كبيراً في الإنسان والكون، عند تفسير قول الله عز وجل: ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الذَّارِيَاتِ : ٢١] ، الآية الواحد والعشرون من سورة الذاريات، يقول القرطبي رحمه الله: " **فَحَوَاسُ الْإِنْسَانِ أَشْرَفُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الْمُضِيئَةِ، وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي إِدْرَاكِ الْمُدْرَكَاتِ بِهَا، وَأَعْضَاؤُهُ تَصِيرُ عِنْدَ الْبَلَى تُرَابًا مِنْ جِنْسِ الْأَرْضِ، وَفِيهِ مِنْ جِنْسِ الْمَاءِ الْعَرَقُ وَسَائِرُ رُطُوبَاتِ الْبَدَنِ، وَمِنْ جِنْسِ الْهَوَاءِ فِيهِ الرُّوحُ وَالنَّفْسُ، وَمِنْ جِنْسِ النَّارِ فِيهِ الْمِرَّةُ الصَّفْرَاءُ. وَعُرُوقُهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَنْهَارِ فِي الْأَرْضِ، وَكَبِدُهُ بِمَنْزِلَةِ الْعُيُونِ الَّتِي تُسْتَمَدُّ مِنْهَا الْأَنْهَارُ، لِأَنَّ الْعُرُوقَ تَسْتَمَدُّ مِنَ الْكَبِدِ.**" [3]

دعوة من خلال هذه المحاضرة للتفكير في قدرة الله عز وجل في خلق الإنسان، من خلال ما نذكره لكم من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله، في كتابه مفتاح دار السعادة، نقل من هذا الكتاب شيئاً من كلامه رحمه الله عن قدرة الله عز وجل في خلق الإنسان، لترى أيها الإنسان بديع خلق الله عز وجل ، لترى حكمة الله عز وجل لتقف بنفسك على أسرار قدرة الله عز وجل في خلقك.

يقول ابن القيم رحمه الله في ذكره لبعض دلائل قدرة الله عز وجل في خلق الإنسان، في الجزء الأول من كتابه مفتاح دار السعادة، يقول: "ندب الله سبحانه إلى التفكير في خلق الإنسان بغير موضع من كتابه، فقال: {فليُنظَرِ الْإِنْسَانَ مِمَّا خَلَقَ}، وقال تعالى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}، وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا** ﴾ [الحج : ٥] ، ويقول الله عز وجل : { **أَلَيْسَ**

الإنسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكْ نُطْفَةٌ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40) { [القيامة: 36 - 40] }، بلى سبحانه وتعالى، ويقول الله عز وجل: { أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعَمَ الْقَادِرُونَ } [المرسلات: 20 - 23]، وهكذا آيات كثيرة الله عز وجل رغب بالتفكر في خلق الإنسان، والآيات كثيرة والله عز وجل يدعو العبد إلى النظر والفكر في بدء خلقه ووسطه وآخره؛ إذ نفسه وخلقته من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيهم العجائب الدالة على عظمة الله، ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضها، وهو غافل عنه، معرض عن التفكير فيه، ولو فكر في نفسه لجزه ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره، فقال الله عز وجل: { قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ } [عبس: 17 - 22].

ثم يقول ابن القيم رحمه الله يذكر دلائل قدرة الله عز وجل في النطفة، فيقول رحمه الله: "انظر الآن إلى النطفة بعين البصيرة وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقدر لو مرت بها ساعة من الزمان لفسدت وأنتنت كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلب والترائب منقادة لقدرته، مطيعة لمشيئته، مذلة الانقياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها، وكيف جمع سبحانه بين الذكر والأنثى وألقى المحبة بينهما، كيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة والاجتماع الذي هو سبب تخليق الولد وتكوينه، كيف قدر اجتماع المائين مع بعد كل منهما عن صاحبه، ساقهما من أعماق العروق والأعضاء وجمعهما في موضع واحد، جعل لهما قراراً مكيناً، فلا يناله هواء يفسده ولا برد يجمده ولا عارض يصل إليه، ولا آفة تتسلط عليه، ثم قلب تلك النطفة البيضاء المشربة علقه حمراء تغرب إلى السواد ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة في لونها وحقيقتها وشكلها، ثم جعل لها عظاماً مجردة لا كسوة عليها، مباينة للمضغة في شكلها وهيئتها وقدرها، وملمسها ولونها، وانظر كيف قسم تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس واللين، بعد ذلك، ثم كيف ربط بعضها ببعض بأقوى رباطٍ وأشدّه وأبعده عن الانحلال، كيف كساها لحمًا ركبها عليها، وجعلها

وعاءٌ لها وغشاءٌ وحافظاً وجعلها حاملةً له" [4]

كلامٌ طويل له رحمه الله يذكر فيه قدرة الله عز وجل في هذه النطفة، التي خُلق منها الإنسان، ثم يقول: "فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها أولاً وما سارت إليه ثانياً وأنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا لها سمعاً أو بصرأً أو عقلاً أو قدرة أو علماً أو روحاً بل عظماً واحداً من أصغر عظامها، بل عرقاً من أدق عروقها، بل شعرة واحدة لعجزوا عن ذلك، فذلك كله آثار صنع الله الذي أتقن كل شيءٍ من قطرة من ماءٍ مهين" [5]

كلامٌ قيم من هذا الإمام، فيه تقوية للإيمان، وفيه دعوة للتفكير كما أمرنا الله عز وجل في كتابه: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الدَّارِيَات : ٢١] ، فالمؤمن ليرتقي في إيمانه ويزداد إيمان ويتفكر، ونعمة التفكير وعبادة التفكير من نعم الله عز وجل علينا.

ثم يذكر رحمه الله بعد كلامه الطويل عن النطفة يذكر الفوائد في كثرة بكاء الطفل بعد ولادته، ما هي الحكمة في كثرة بكاء الطفل؟ يقول رحمه الله: "ثم تأمل حكمة الله تعالى في كثرة بكاء الأطفال وما فيه من المنفعة فإن الأطباء شهدوا منفعة ذلك وحكمته، قالوا في أدمغة الطفل رطوبة لو بقيت في أدمغتهم لأحدثت إحداثاً عظيماً، فالبكاء يسيل ذلك ويجدره من أدمغتهم تقوى أدمغتهم وتصح أيضاً فالبكاء يوسع عليهم مجاري النفس، ويفتح العروق ويصاحبها، ويقوي الأعصاب، فكم للطفل من منفعة ومصلحة فيما تسمعه من بكائه وصراخه، فإذا كانت هذه الحكمة في البكاء الذي سببه ورود الألم المؤذي وأنت لا تعرفها، ولا تكاد تحظر ببالك، وهكذا إيلام الأطفال فيه وفي أسبابه وعواقبه الحميدة من الحكم ما قد خفي على أكثر الناس" [6] رحم الله ابن القيم رحمه الله.

ثم يذكر دلائل قدرة الله عز وجل في خلق البصر، العين، يقول: "وجعل حاسة البصر ليكون كالطليعة والحرس والكاشف للبدن، ركب كل عينٍ من سبع طبقات، لكل طبقة وصف مخصوص، ومقدار مخصوص ومنفعة مخصوصة، فلو فقدت طبقة من تلك الطبقات السبع، أو زالت عن هيئتها وموضعها لتعطلت العين عن الإبصار" [7] كلام طويل، ثم قال: "وانظر

كيف حسن شكل العينين وهياتهما ومقدارهما، ثم جعلهما بالأجفان غطاءً لهما، وسترًا وحفظًا وزينة، فهما يتلقيان عن العين الأذى والقذى والغبار، ويكفانها من البارد المؤذي والحر المؤذي، ثم غرس في أطراف تلك الأجفان الأهداب جملاً وزينة، ولمنافع أخر وراء الجمال والزينة"

ثم أيضاً يذكر رحمه الله دلائل قدرة الله عز وجل في خلق الأذن، وبقية أعضاء البدن، يقول: "خلق الأذن أحسن خلقة وأبلغه في حصول المقصود منها، جعلها مجوفة كالصدفة لتجمع الصوت فتؤديه إلى الصمخ وليحس بدبيب الحيوان فيها، ويبادر إلى إخراجها، وجعل فيها غصوناً أو غضوناً وتجاويف واعوجاجات تُمسك الهواء والصوت الداخل فتكسر حدته، ثم تؤديه إلى الصمخ ومن حكمة ذلك أن يطول به الطريق على الحيوان فلا يصل إلى الصمخ، هذا الحيوان الذي يدخل في أذن الإنسان يطول به الطريق على الحيوان فلا يصل إلى الصمخ حتى يستيقظ أو ينتبه لإمساكه، وفيه أيضاً حكمٌ غير ذلك"

ثم يذكر الحكمة في أن ماء الأذن مرّاً، وماء العين مالحاً، وماء الفم عذباً، فيقول رحمه الله: "اقتضت حكمة الرب الخالق سبحانه أن جعل ماء الأذن مرّاً في غاية المرارة، فلا يجاوزه الحيوان ولا يقطعه داخلاً إلى باطن الأذن، بل إذا وصل إليه أعمل الحيلة في رجوعه، وجعل ماء العين مالحاً ليحفظهما، فإن شحمتها قابلة للفساد، فكان ملح مائها صيانة لها وحفظاً وجعل ماء الفم عذباً حلواً ليدرك به طعم الأشياء على ما هي عليه؛ إذ لو كان على غير هذه الصفة لأحالتها إلى طبيعته، كما أن من عُرض بقمه المرارة استمر طعم الأشياء التي ليست بمرّة كما قال الشاعر: ومن يك ذا فمٍ مر مريضٍ يجد فيه مرّاً به الماء الزلال"

ثم يذكر رحمه الله دلائل قدرة الله عز وجل في الأنف، فيقول: "نصب سبحانه قصبه الأنف في الوجه فأحسن شكله وهيبته وفتح فيه المنخرين وحجز بينهما مجازٍ وأودع فيهما حاسة الشم التي ندرك بها أنواع الروائح الطيبة والخبیثة والنافعة والضارة، وليستنشق به الهواء فيوصله إلى القلب فيتروح به، يتغذى به، ثم لم يجعل في داخله من الاعوجاجات والغضون ما جعل في الأذن لئلا يمسك الرائحة فيضعفها ويقطع مجراها، جعله سبحانه مصداً تنحدر إليه فضلات الدماغ، تجتمع فيه ثم تخرج منه، واقتضت حكمته سبحانه أن جعل أعلاه أدق من أسفله، لأن أسفله إذا كان واسعاً اجتمعت فيه تلك الفضلات"

انتهى كلامه عن قدرة الله عز وجل في الأنف.

ثم يذكر أيضاً قدرة الله عز وجل في الفم وما يحتويه الفم من اللسان والأسنان والشفيتين، فيقول ابن القيم رحمه الله في كتابه مفتاح دار السعادة يقول: "شق سبحانه للعبد الفم في أحسن موضع، وأليقه به، وأودع فيه من المنافع وآلات الذوق والكلام وآلات الطحن والقطع ما يُبهر العقول عجائبه، فأودعه اللسان الذي هو أحد آياته الدالة عليه، وجعله ترجماناً لملك الأعضاء، مبيناً مؤدياً عنه، كما جعل الأذن رسولاً مؤدياً مبلغاً إليه، فهي رسوله وبريده الذي يؤدي إليه الأخبار، واللسان بريده ورسوله الذي يؤدي عنه ما يريد، واقتضت حكمته سبحانه أن جعل هذا الرسول مصوناً محفوظاً مستوراً غير بارزاً مكشوفاً كالأذن والعين والأنف" هي مكشوفة غير اللسان.

ثم يقول: "لأن تلك الأعضاء لما كانت تؤدي من الخارج إليه جعلت بارزة ظاهرة، ولما كان اللسان مؤدياً منه إلى الخارج جعل له سترًا مصوناً لعدم الفائدة في إبرازه، لأنه لا يأخذ من الخارج إلى القلب، وأيضاً لأنه لما كان أشرف الأعضاء بعد القلب، ومنزلته منه منزلة ترجمانه ووزيره ضرب عليه سرادق تستره، وتصونه، وجعل في ذلك السرادق كالقلب في الصدر" كل هذا الكلام عن اللسان وقدرة الله عز وجل في خلق هذا اللسان.

ثم يقول ابن القيم: "ثم زين سبحانه الفم بما فيه من الأسنان التي هي جمال له، وزينة وبها قوام العبد وغذاؤه وجعل بعضها للطحن وبعضها آلة للقطع، فأحكم أصولها وحدد رؤوسها وبيض لونها، ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب، كأنها الدر المنظوم بياضاً، وصفاءً وحسنًا، وأحاط سبحانه على ذلك حائطين وأودعهما من المنافع والحكم ما أودعهما وهما الشفتان، فحسن لونهما وشكلهما ووضعهما، الله عز وجل هياهما وجعلهما إتماماً لمخارج حروف الكلام ونهاية له، كما جعل أقصى الحلق بداية له، واللسان وما جاوره وسطاً، ولهذا كان أكثر العمل فيها له هو الواسطة، واقتضت حكمته أن جعل الشفتين لحماً صرفاً لا عظم فيه، ولا عصب، ليتمكن بهما من مص الشراب ويسهل عليه فتحهما وطبقهما، وخص الفك الأسفل للتحريك، لأن تحريك الأخرى أحسن ولأن الفك العلوي يجتمع الأعضاء الشريفة، فلم يخاطر بها في الحركة"

كلام ابن القيم يذكر في قدرة الله عز وجل ، نأخذ منه مما يقوي إيماننا، ويحثنا على التفكير في خلق الإنسان، ثم يتكلم رحمه الله عن قدرة الله عز وجل في خلق اليدين، ويذكر هذه القدرة قدرة الله عز وجل في خلق اليدين ويقول رحمه الله: "وخلق سبحانه اليدين اللتين هما آلة العبد وسلاحه، ورأس ماله في معاشه، فطولهما بحيث يصلان إلى ما شاء من بدنه، وعرض الكف ليتمكن به من القبض والبسط، قسم فيه الأصابع الخمس وقسم كل إصبع بثلاث أنامل والإبهام باثنتين ووضع الأصابع الأربع في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع، فجاءت على أحسن وضع صلحت به للقبض والبسط ومباشرة الأعمال، ولو اجتمع الألوان والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق أفكارهم وضعاً آخر للأصابع سوى ما وضعت عليه لم يجدوا إليه سبيلاً، فتبارك من لو شاء لسواها وجعلها طبقاً واحداً كالصفيحة، فلم يتمكن العبد بذلك من مصالحه، وأنواع تصرفاته، ودقيق الصنائع، والخط وغير ذلك، فإن بسط أصابعه كانت طبقاً يضع عليها ما يريد، وإن ضمها وقبضها كانت دبوساً وآلة للضرب، وإن جعلها بين الضم والبسط كانت له مغرفة يتناول بها ويمسك فيها ما يتناوله، وركب الأظفار على رؤوسها زينة لها، وعماداً ووقاية، وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا ينالها جسم الأصابع، جعلها سلاحاً لغيره من الحيوان والطيور وآلة لمعاشه، وليحك الإنسان بها بدنه عند الحاجة"

ثم قال رحمه الله: "ثم انظر إلى الحكمة في سلب الإحساس والشعور من الأظافر لأنها قد تطول وتمتد وتدعو الحاجة إلى أخذها وتخفيفها، فلو أعطاها الحس لآلمته وشق عليه أخذ ما شاء منها، ولو كانت تحس لوقع الإنسان منها في إحدى البليتين إما تركها حتى تطول وتفحش وتثقل عليه وإما مقاسات الآلام والوجع عند أخذها"<sup>[8]</sup> انتهى كلامه رحمه الله في كلامه عن قدرة الله عز وجل في خلق اليدين، وما فيهما من الأصابع والأظافر.

ثم يذكر رحمه الله قدرة الله عز وجل في العظام والمفاصل والأعصاب وهكذا يتكلم عن قدرة الله عز وجل في خلق القلب، وهنا نتوقف عند كلامه رحمه الله يقول: "هو الملك المستعمل لجميع آلات البدن" يقول عن القلب وعن قدرة الله عز وجل في خلق القلب يقول: "هو الملك المستعمل لجميع آلات البدن والمستخدم لها، فهو محفوف بها محشوراً محذوم مستقر في الوسط، وهو أشرف أعضاء البدن، وبه قوام الحياة، وهو منبع الروح الحيواني والحرارة الغريزية وهو



معدن العقل والعلم والحلم والشجاعة والكرم والصبر والاحتمال والحب والإرادة والرضا والغضب وسائر صفات الكمال، فجميع الأعضاء الظاهرة والباطنة وقواها إنما هي جندٌ من أجناده، فإن العين طليعته ورائدته، الذي يكشف له المرئيات فإن رأته شيئاً أدته إليه، ولشدة الارتباط التي بينها وبينه إذا استقر فيه شيءٌ ظهر فيها، فهي مرآته المترددة للناظر ما فيه، كما أن اللسان ترجمانه المؤدي للسمع ما فيه، ولهذا كثيراً ما يقرن سبحانه في كتابه بين هذه الثلاثة، فيقول: { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا }، ويقول: { وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة }، وكذلك يقرن بين القلب والبصر، { ونقلب أفئدتهم وأبصارهم }.

ثم يقول رحمه الله: "وكذلك الأذن فهي رسوله المؤدي إليه، كذلك اللسان ترجمانه، وبالجملة فسائر الأعضاء خدمه وجنوده، وقد قال النبي: «ألا أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا وهي القلب»"، والحديث متفق عليه.

ثم يذكر ابن القيم رحمه الله في هذا الكتاب الذي أنصح بقراءة كتاب مفتاح دار السعادة يذكر دلائل قدرة الله عز وجل في مخ الإنسان، يقول: "ثم لو رأيت الدماغ وكُشف لك عن تركيبه وخلق له العجب العجيب، يكشف لك عن تركيبه ما يحار فيه العقل وقد لُفَّ بحجب وأغشية بعضها فوق بعض لتصونه عن الأعراض، وتحفظه من الاضطراب، ثم أطبقت عليه الجمجمة بمنزلة الخوذة وبيضة الحديد لتقيه حد الصدمة والسقطة والضربة التي تصل إليه، فتتلقاها تلك البيضة عنه بمنزلة الخوذة التي على رأس المحارب، ثم جللت تلك الجمجمة بالجلد الذي هو فروة الرأس، يستر العظم من البروز للمؤذيات ثم كسيت تلك الفروة حلة من الشعر الوافر، وقاية لها وستراً من الحر والبرد والأذى وجمالاً وزينة، فتبارك الله أحسن الخالقين"

ثم يقول رحمه الله بعد أن ذكر عجائب من قدرة الله عز وجل في خلق الإنسان يقول: "والمقصود من ذكر هذا هو التنبيه فقط على وجوه الحكمة التي في خلق الإنسان، لكن الأمر حقيقة أضعاف أضعاف ما يخطر بالبال، أو يجري فيه

المقال

ثم يذكر رحمه الله قدرة الله عز وجل في خلق المعدة، وما فيها من العجائب هذه المعدة يقول: "وإذا نظر العبد إلى غذائه فقط في مدخله ومستقره ومخرجه رأى فيه العبر والعجائب، كيف جعلت له آلة يتناول بها ثم باب يدخل منه، ثم آلة تقطعه صغاراً ثم طحوناً يطحنه ثم أعين بماءٍ يعجنه ثم جعل له مجرىً وطريقاً إلى جانب النفس، ينزل هذا ويصعد هذا فلا يلتقيان مع غاية القرب، ثم جعل له حوايا وطرقاً توصله إلى المعدة، فهي خزائنه وموضع اجتماعه ولها بابان، باب أعلى يدخل منه الطعام، وباب أسفل يخرج منه تفلّه، والباب الأعلى أوسع من الأسفل؛ إذ الأعلى مدخل للحاصل والأسفل مسرف للضار منه، والأسفل منطبقٌ دائماً ليستقر الطعام في موضعه، فإذا انتهى الهضم فإن ذلك الباب يفتح إلى انقضاء الدفع ويسمى البواب لذلك، والأعلى يسمى فم المعدة، والطعام ينزل إلى المعدة، فإذا استقر فيها انماح وذاب، ويحيط بالمعدة من داخلها وخارجها حرارة نارية بل ربما تزيد على حرارة النار ينضج بها الطعام فيها كما ينضج الطعام في القدر بالنار المحيطة به.

ولذلك يذيب ما هو متحجرٌ مستحجرٌ كاللحم وغيره، حتى يتركه مائعاً فإذا ذابته علا صفوه إلى فوق ورسا كدره إلى أسفل ومن المعدة عروق متصلة بسائر البدن يبعث فيها معلوم كل عضو وقوامه بحسب استعداده وقبوله" [9]

كلام طويل للإمام ابن القيم رحمه الله في هذه المسألة في بيان قدرة الله عز وجل في المعدة، وهكذا يذكر رحمه الله دلائل قدرة الله عز وجل في خلق آلات الجماع في الإنسان، ثم يذكر في آخر كلامه أيضاً فصلاً مهماً يذكر فيه غرائب وعجائب في تكريم خلقه الإنسان على جميع المخلوقات وخلق كل شيء من أجله، ويقول الله عز وجل: ﴿ \* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠].

كلام طويل يكفي ما أشرنا إليه من بيان قدرة الله عز وجل في خلق الإنسان ونعيد ما ذكره ابن القيم رحمه الله عندما قال: المقصود من ذكر هذا، يعني المقصود من ذكر شيء من قدرة الله عز وجل في خلق الإنسان، يقول: "المقصود من ذكر هذا هو التنبيه فقط على وجوه الحكمة التي في خلق الإنسان، لكن الأمر حقيقة أضعاف أضعاف ما

## يخطر بالبال أو يجري فيه المقال"

نكتفي بما ذكرنا من خلال هذه المحاضرة في بيان قدرة الله عز وجل في خلق الإنسان، وأحث على الرجوع إلى كتاب ابن القيم رحمه الله مفتاح دار السعادة ففيه الغرائب والعجائب للمخلوقات، وفيه أيضاً عبادة التفكير في المخلوقات، والتفكير في قدرة الله عز وجل في خلق المخلوقات، نسأل الله عز وجل أن يقوي إيماننا وأن يثبتنا على الإيمان والسنة، كما أسأله عز وجل أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء وفتنة، نسأله عز وجل أن يوفق ولاية أمورنا لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقه البطانة الصالحة، ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[1] رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ "التَّفَكُّرِ وَالْإِعْتِبَارِ"

[2] تفسير ابن كثير ت سلامة (2 / 185)

[3] تفسير القرطبي (2 / 203)

[4] كتاب مفتاح دار السعادة الجزء الثاني (ص: 558)

[5] مفتاح دار السعادة الجزء الثاني (ص: 460)

[6] مفتاح دار السعادة الجزء الثاني (ص: 476)

[7] مفتاح دار السعادة الجزء الثاني (ص: 543)

[8] مفتاح دار السعادة الجزء الثاني

[9] مفتاح دار السعادة الجزء الثاني، (ص: 558)

المصدر:

://.../660

جميع الحقوق محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

## صفحات المشايخ على الموقع

- أحمد بن محمد الشحي (168)
- إبراهيم بن عبد الله المزروعى (8548)
- حامد بن خميس الجنيبي (2351)
- د. أحمد بن مبارك المزروعى (6164)
- د. خالد بن حمد الزعابي (1366)
- د. سعيد بن سالم الدرهمي (2619)

## صفحات المشايخ على الموقع

- د. عبدالرحمن بن سلمان الحمادي (689)
- د. علي بن سلمان الحمادي (518)
- د. محمد بن غالب العمري (4117)
- د. محمد بن غيث غيث (3781)
- د. هشام بن خليل الحوسني (1994)
- يوسف بن حسن الحمادي (2283)

## تطبيقاتنا

تطبيق القرآن المبين 3 2 1

تطبيق إذاعة بينونة 2 1

تطبيق مكتبة بينونة 21

تطبيق شبكة بينونة 21

لعبة كنوز العلم 21

## تواصل معنا

الرؤية

كلمة المشرف

اتصل بنا